الزواج

أخي العريس.. أختي العروس.. بارك الله لكما، وبارك عليكما، وجمع بينكما في خير، وجمع الله شملكما، وأقر أعينكما، وحسّن حالكما، وعلى الرفاء والبنين والبنات، والتيسير والبركة، وسعد السعود، وأيمن الجدود، وجمع الله شملكما على الخير والبركة، ولا زال هذا الزواج موصولاً بنماء العدد، وزكاء الولد، وعلى الخير والبركة، والألفة والمحبة، والطائر الميمون، والسعة في الرزق.. بارك الله لكما.

إن الزواج محطة كبرى في تاريخ الإنسان، إنه إشراقة عمر جديد، وفجر حميد، إنه وضع لبنة لكيان أسرة مسلمة، وبوابة لانطلاقة أجيال مؤمنة، وقد تثمر تلك الأسرة خيراً كبيراً يعود نفعه على الأمة بأكملها. إن الزواج انتقال مفاجئ من حياة إلى حياة، وجو إلى جو، وفكر إلى فكر، وعالم إلى عالم. فهو بأمس الحاجة إلى الاهتمام به، والالتفات إليه، والعناية بأربابه، والتوجيه لأصحابه.

وإن هنالك جهوداً مشكورة مأجورة، من كتب رائعة، ومؤلفات ماتعة، وصوتيات مفيدة، أولت هذا الأمر عناية كبيرة، في كل ما يتعلق به من أحكام وآداب وأسرار ومواعظ، وإن هذه الورقات ليست تكراراً لذلك، ولا ترديداً لما هنالك، فهي ليست

أحكاماً فقهية، ولا خطباً وعظية، ولا إرشادات جنسية، ولا تفصيلات علمية، وليست حديثاً عن الأسرة وتاريخها، والزواج وأحكامه، وشروط اختيار الزوجة، ومسائل المهر والعشرة والنفقة وتربية الأولاد، وما إلى ذلك، فتلك - على أهميتها - مراجع موجودة، ومصادر متوفرة، يجب على كل مسلم حريص على دينه أن يعود إليها، وأن يفيد منها.

وإنني لن أبدأ هنا بمسائل الزواج واختيار الزوجة وما إلى ذلك، بل سأدلف مباشرة إلى ليلة العمر، لأن مرادي من هذي الرسالة أن تكون هدية للعروسين في ليلة عرسهما لتضفي عليهما سروراً، وتزيدهما بهجة، وترسم لهما البسمة، في ليلة ودادهما، وظفرهما بمرادهما، ولحظات إسعادهما.

ثم ترسم لهما الطريق الجميل لاستمرار سعادتهما، ودوام مودتهما، ونعيم أسرتهما، وذلك لما ذكرته فيها من فوائد وقواعد، وأسباب وآداب، كانت خلاصة لتجربة، وثمرة لمعايشة.

في ليلة من ليالي الأنس هانئة
فيها أحاديث أشواق لقلبينِ
رسالة من محب صاغها درراً
تُروى وتُهدى إلى أغلى عروسينِ
تساقيا من كؤوس الحب واجتمعا
على المودة بعد البعد والبينِ
في ليلة العمر يشدو القلب من طربِ
ونشوةِ آهِ يا ليلي ويا عيني

حق للإنسان أن يختصر عمره المديد كله، بطفولته وشبابه وشيبته، بتجاربه، بقصصه، بمغامراته، بحلوه، بمره، بسعادته، بشقائه، بصحته، بسقمه، بسفره، بحضره، في ليلة منه يسميها الناس: (ليلة العمر)!.

وما أدراك ما ليلة العمر.. إنها الليلة التي تتفتح فيها أزهار القلب، وتعزف فيها أوتار الحب، وتتدفق أنهار القرب. إنها لقاء هذا النصف المتعب المنهك المتلهف المتشوق بنصفه الثاني، وسكن هذا الجزء إلى جزئه، وائتلاف هذا الفرد بزوجه، والقرين بقرينه، والشريك بشريكه، في ليلة عامرة، وفرحة غامرة.

إنها الليلة التي يُطلق فيها العنان لأغاني الروح، وأهازيج الشوق، وتراتيل الغرام، وهمسات الهيام. الليلة التي ترقص فيها المشاعر، وتميس النفوس، وتتمايل الأجسام، وتطرب الخلجات. إنها الليلة التي تسكر فيها العقول بالخمرة الحلال، وترتوي فيها القلوب من النهر الزلال، ويستريح المسافر المضنى إلى واحة وظلال. يقطف أزهار الجمال، ويتذوق ثمار الدلال، وينعم بدفء الوصال.

إنها الليلة التي يفطر فيها المحب بعد طول صيام، فإذا بالروح تنادي: ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الحب إن شاء الله، فتجتمع لهذا الصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء حبيبه، ويظفر بلثم فم أطيب إليه من ريح المسك.

الليلة التي تفتّح فيها أبواب جنان الحب، وتصفد مردة شياطين اللهو، والدقيقة فيها بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة. بل إن يوم الزواج وليلته ليست أربعاً وعشرين ساعة، بل هي أربع وعشرون ليلة، وأربعة وعشرون يوماً، في كل يوم وليلة ألف وأربعمائة وأربعون دقيقة، في كل دقيقة ستون سنبلة، في كل سنبلة مائة فرحة، والله يضاعف لمن يشاء.

آمنت أن سروري بين أحضانك
وأن أحلى ثماري جني أغصانك

إذا ترنح أهل الفن من طرب
فلست أذكر إلا عزف ألحانك

ما هزني من ترانيم الهوى نغم
إلا إذا كان فيه وقع أوزانك

وإن تحدث أهل المال عن عرض
سرحت في بحر تقسيمات فستانك

كم عشت في ظلمات التيه مجدبة
مشاعري فاهتدى قلبي لعنوانك

فأورق الجدب من كفيك وابتسمت
لي الأماني من إشراق وجدانك
وأزهرت في فؤادي كل ظامئة
وجاد غيث الرضا من صوب هتانك
تسقين غرس الهوى والحب في خلدي
وتبذلين لأجلي فوق إمكانك
وما رأيت فراشات على ثمر
إلا تذكرت فيها لطف إذعانك
لا غيب الله عن عينَيّ ما اكتحلت
به من الأنس في أسرار أجفانك
لو الكواكب تدنو لي فأنظمها
شعراً لما كان إلا بعض ديوانك
لكنها أحرف الإجلال ساجدة
تبقي نقوشاً على أبواب إيوانك
أنت الهوى والمنى والحب يا أملي
لو تأمريني أبيع العمر من شانك

يا الله ما أروعها من ليلة! تاه بها الحكماء، وتغنى لها الشعراء، وغرد بألحانها المغنون، وهام في جمالها وجلالها العاشقون. إنها الليلة الفرد، فإذا قيل (ليلة) فلا ينطلق الذهن إلا إلى تلك الليلة. إنها بمجرد أن تذكر يشعر الإنسان بهزة في وجدانه، وقشعريرة في جسده، ورجفة في قلبه، وجمال ينساب إلى روحه، بل ويشرد الذهن عند ذكر تلك الليلة مباشرة. يشرد

ولكن إليها، ويهرب ولكن إلى ذكرياتها، فيهيم القلب، ويتيه الشعور، وتتراقص معاني الجوى، وإذا بهمسات العناق، وحرارة اللقاء، وسخونة القبلات، وموسيقا الأنفاس، ودفء الأحضان، وجنون المشاعر، ووله العشق. إذا بها جميعاً تخالط الذاكرة، وتمازج الروح، وتحتشد أمام العين، وتغرد للأذن، وتداعب الخلجات، ويشعر المرء أنه ارتمى في أحضان تلك الليلة الحالمة، فإن كان قد عاشها من قبل فهو يتذكر كل ذرة من ذراتها حتى لو أنه قد مضى عليها عشرات السنين، وكأنها كانت البارحة، وإن لم يكن عاشها بعد فهو يتطلع إليها كما يتطلع العطشان إلى الماء البارد، بل ويعيشها بقلبه ومشاعره وآماله، وينتظرها بفارغ الشوق، حتى لكأنما دقائق انتظارها أيام، وأيامها شهور، وشهورها سنوات.

يا الله! هل هناك أحلى صورة في قلب الشاب ووجدانه من الصورة التي رسمها لنفسه وعمره وعاش على ذكراها. الصورة التي يتمنى أن يراها في كل لحظة، صورته يوم أن يجد بغيته، أو يظفر برفيقة دربه، وحبيبة قلبه، ويوزع بطاقات الدعوة، ثم يأتي الموعد المرتقب، فيتزين بأحسن الزينة، ويتطيب بأروع الطيب، ويلبس أجمل الملابس، ويرسم على وجهه أحلى بسمة، وتقبل ساعات اللقاء، وتقترب لحظات الوصال، ويعلو صوت خفقات القلب، وينجلي ليل الهم، وتفتح أبواب الفرحة، ويلتقي بعروسه الجميلة ليضمها إلى صدره

ضمة تنسيه ما مر به من ألم طوال حياته، فلو سئل هل مر بك بؤس قط؟ لقال: لا.

ما أجمل تلك اللحظات التي يسمع فيها عبارات التهاني، وكلمات التبريكات، وأغاني الفرحة، وزغردات اللقاء، وهتافات الأحبة، وألف صلى الله عليك وسلم يا حبيب الله محمد..

وعـــــــريسنا يا بدر بادي

غطى على كل البـــــــدور

إن هذه الذكرى الجميلة تظل تفوح بشذاها في قلب الإنسان، وتتراءى أمامه إلى آخر لحظة من لحظات عمره؛ لأنها ليلة العمر، وهل هنالك أجمل ليلة، أو أمتع لحظة، أو أعذب منية، أو أسمى مطلب للفتاة من تلك الليلة التي تزف فيها إلى ربيع عمرها، وأريج حياتها، وفتى أحلامها، وحبيب فؤادها!؟.

ما من فتاة إلا وهي تذوب شوقاً، وتفيض هياماً بتلك الليلة التي تظهر فيها بفستانها الأبيض، تميس فيه أمام الأحبة، لتعلن انبثاقة الحياة البيضاء المميزة، والقلب الأبيض المحب. الفستان الذي يحمل في زركشته ولونه كل معاني التفاؤل والأمل. ما من فتاة إلا وهي تتمنى أن تتربع على عرش مملكة الزواج بجوار أغلى حبيب، وأعز رفيق، وقد أحاط بها الأحبة من كل مكان، ونثرت عليها الزهور، وعبقت الورود، وتعالت زغاريد الفرح.

إن أجمل لحظة في تاريخ الفتاة، وأعذب ومضة في عمرها، هي تلك اللحظة التي تضع فيها كفها المرتعشة في كف زوجها، فيسري دفؤها وحنانها إلى حنايا الروح، حاملاً معه من الحب والرضا والبهجة ما لا حد له. إنها اليوم كأنما ولدت من جديد، فهي الطفلة المدللة التي تتشوف إلى الصدر الحنون، والأحضان الدافئة، لتنام قريرة العين، هانئة القلب، مشبعة العواطف.

أحلى أماني البنت ليلة فرحة
ترنو لمشرقها ودفء حنانها

كم مرت الأيام وهي مشاعر
فياضة كالنهر في فيضانها

وتهزها ذكرى اللقاء فتنتشي
شوقاً إلى النسمات من خلانها

وتفوح رائحة الزمان شذية
كروائع الأزهار في بستانها

هذي ثمار الحب حان قطافها
فتمايلت طرباً على أغصانها

ودنا ربيع الوصل يعزف لحنه
للغادة الحسناء في ريعانها

ميلاد بهجتها وفجر حياتها
تبدو لها في يوم عقد قرانها

لا شيء أجمل عندها من ليلة
تتعانق الأطياب في فستانها

وترى فتى أحلامها بجوارها
تمضي على وجناته ببنانها

فوق المنصة جلسة ملكية
لا يرتقي مجد إلى تيجانها

والأهل والأحباب والبشرى وما
تشتاقه الأرواح من سلوانها

تعلو زغاريد المودة حولها
والأنس و الرضوان يكتنفانها

والليل مخمور على عزف الهوى
والغانيات رقصن في ميدانها

وتَسَابُق الأطفالِ يرسم لوحة
إذ ينثرون الورد في أحضانها

في ليلة جذابة خلابة
تتراقص الخلجات من ألحانها

وتنام في كوخ المودة ساعة
تنسى بها الدنيا وأهل زمانها

إن الفتاة أكثر حباً وشوقاً وتطلعاً لليلة العمر من الشاب، ولذلك فهي منذ نعومة أظفارها تلعب أحسن ما تعلب، وتأنس أجمل ما تأنس، بعرائسها الجميلة التي تتفنن في اللعب بها، وفي مناغاتها والسهر معها، وكأنما تتحدث إلى نفسها وعنها، ويضاف إلى ذلك أن المرأة في هذه الليلة تهب زوجها أعز ما تملك. إنها تهبه عنوان حياتها، وسر عمرها، ومفتاح عالمها،

ودليل شرفها، وبرهان عفافها. هذا الشرف الذي عاشت تفاخر به، وظلت تحافظ عليه، وكان ذهاب روحها أهون عليها من ذهابه. ها هي اليوم تتنازل عنه لحبيب القلب، ورفيق العمر، كأغلى أمانة، وكلها أمل أن يقدر لها ذلك، وأن يحافظ عليها، وأن يحترم هذه التضحية، ويقدر تلك العطية، فهي بذلك قد سلمته روحها، وأعطته زمامها، فلو غدر بها، أو خان عشرتها، أو تخلى عن رفقتها، فإنها الخاسر الأكبر، فقد كُسر جناحها، وسلب شبابها، وذهبت نضارتها، فيا الله ما أقسى وأظلم من يضيع هذا الميثاق الغليظ!.

ونعود إلى ليلة العمر، وفجر الحب، وصبح الهوى، وربيع السرور، وجذوة المنى، ونشوة الروح، وطرب القلب، ورقصات الخلجات.. يا لها من ليلة عذبة الأجواء، رائعة الأصداء، بديعة الجمال، وارفة الظلال، حلوة الذكريات، مشرقة الأمنيات.

إنها ذكرى أمانينا الجميلة
وهي أحلى في الهوى من ألف ليله
ينتشي قلبٌ محبٌ عاشقٌ
في رؤى عينيك يا أغلى حليله
يا شذا عمري ويا عطر الهوى
يا فيوض الأنس للروح العليله
آن للمشتاق أن يسلو بمن
عاش يهواها وأن يروي غليله

إن يكن قد تاه قلبي زمناً
فهو الليلة قد وافى دليله

هذان قلبان اجتمعا في قلب، وروحان اتحدتا في روح، ونفسان التأمتا في نفس، فاعزفي يا أماني، واصدحي يا أغاني، وتراقصي يا خمائل، واطربي يا جداول، وابتسم يا زمان، وتمايلي يا أغصان.

هذا حبيبي أمامي
وسلوتي وغرامي
تتيه فيه حروفي
وفيه يحلو كلامي
الروح بالوصل جذلى
والحب يذكي هيامي
يا ليلة العمر جئتي
والقلب للخل ظامي
فيك ابتهاجي وأنسي
وراحتي وانسجامي

الزواج نعمة ربانية وآية إلهية

إن الزواج من أعظم النعم الربانية والمنن الإلهية، التي امتن الله تعالى بها على عباده، ودل بها على فضله، وأخبر أنها آية من آياته الساطعة، لأناس يتفكرون، وقوم يعقلون، وهي والله كذلك، فلو تأمل الإنسان سنة الزواج، وحقيقة اللقاء، وأسرار الوصال، لرأى العجب العجاب، اسرح بخيالك، حلق بوجدانك، في سماء هذه السنة البديعة، تأمل ميول الجنسين بعضهما إلى بعض، تأمل المشاعر، تأمل الخواطر، تأمل الأحاسيس، تأمل الزواج، تأمل المودة، تأمل الحب وخلجاته، والشوق وآهاته، والغرام ولذعاته، تأمل الرحمة والسكن، تأمل المعاشرة الجنسية، واللحظات الرومانسية، تفكر في الحمل، في الولادة، في الرضاع، في الأبناء، في العاطفة، في الأمومة، في الأبوة، في الأسرة، في العلاقة.. عالم عجيب، ميدان غريب، نبأ عظيم.

سُنّه جميله من الفطره

وحكمه عظيمه إلهيه

وكتاب مفتوح في سطره

آيات للناس مرويه

والـــورد أرســـل لـــنـــا عـــطـــره
ولـيـلـه زكـــــيـــــه هـواويـه
وتـأمـلـوا حـكـمـــــة الخـــــلاق
فـــي كـــل شـــي لـــه آيـــه
فـي الـلـون فـي الـكـون فـي الأرزاق
في العـــالـم الرايحـــه والجـــايه
في رقـــــة الـطـبـع في الأخـــــلاق
وآيات مـــا في لهـــا نهـــايه
في عـــــالم الحب في الأشـــــواق
في روعـــة الوصل في الغـــايه

إنها أسرار وأخبار لا يحيط بها بيان، ولا يرسمها بنان، فبأي آلاء ربكما تكذبان، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

والناس يعرفون مشاعرهم تجاه الجنس الآخر، وتشغل أعصابهم ومشاعرهم تلك الصلة بين الجنسين؛ وتدفع خطاهم وتحرك نشاطهم تلك المشاعر المختلفة الأنماط والاتجاهات بين الرجل والمرأة. ولكنهم قلما يتذكرون يد الله التي خلقت لهم من أنفسهم أزواجاً و وأودعت نفوسهم هذه العواطف والمشاعر،

وجعلت في تلك الصلة سكناً للنفس والعصب، وراحة للجسم والقلب، واستقراراً للحياة والمعاش، وأنساً للأرواح والضمائر، واطمئناناً للرجل والمرأة على السواء.

والتعبير القرآني اللطيف الرفيق يصور هذه العلاقة تصويراً موحياً، وكأنما يلتقط الصورة من أعماق القلب وأغوار الحس: ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ .. ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾.. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ .. فيدركون حكمة الخالق من خلق كل من الجنسين على نحو يجعله موافقاً للآخر. ملبياً لحاجته الفطرية: نفسية وعقلية وجسدية. بحيث يجد عنده الراحة والطمأنينة والاستقرار؛ ويجدان في اجتماعهما السكن والاكتفاء، والمودة والرحمة، لأن تركيبهما النفسي والعصبي والعضوي ملحوظ فيه تلبية رغائب كل منهما في الآخر، وائتلافهما وامتزاجهما في النهاية لإنشاء حياة جديدة تتمثل في جيل جديد) [في ظلال القرآن].

الزواج شريعة وفطرة

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ [الرعد: ٣٨].

ولقد بدأت تلك الشريعة بآدم عليه السلام وعاش حياته راغدة في كنف حواء ودفئها وسكنها، وهكذا الأنبياء - عليهم السلام -، هذا داود كان له تسع وتسعون زوجة، وذاك سليمان عليه السلام وقصة ملكة المجد والجمال، وذاك إبراهيم عليه السلام وزواجه بسارة ثم هاجر، وذاك موسى عليه السلام الذي تزوج بتلك الفتاة المؤمنة الحبيبة العفيفة، وهي التي جاءته على استحياء، فتحمل ليظفر بها مهراً كبيراً، إنها عشر سنوات من التعب والمشقة ورعاية الغنم، ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [القصص: ٢٧]، وهكذا الأنبياء عليهم السلام وقصصهم وأخبارهم الزوجية تملأ الزمان والمكان.

وبين تعالى أن من صفات عباد الرحمن أنهم يسألون الله تعالى أن يهب لهم من أزواجهم وذرياتهم ما تقر به أعينهم،

وتلذ به حياتهم، وتطيب معه معيشتهم ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، ويقول ﷺ: «.. **وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**» [أخرجه البخاري: ٤٧٧٦]، بل ويحث على ذلك ويدعو إليه: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج**» [أخرجه البخاري: ٤٧٧٨]، ويقول عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما -: (لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج)، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (لو لم يبق من عمري إلا عشرة أيام لأحببت أن أتزوج لكي لا ألقى الله عزبا).

إن الزواج فطرة ربانية فطر الله الناس عليها منذ اللحظة الأولى لوجودهم، والمتأمل لقصة آدم عليه السلام يرى ذلك واضحاً جلياً؛ فقد خلقه الله تعالى، وخلق له زوجه حواء، فبدأت هذه السنة منذ بدء الخليقة، ثم انظر إلى تعبير القرآن عنها منذ فجر الخليقة، فلم يقل آدم وامرأته أو رفيقته أو شريكته، وما إلى ذلك، بل هي زوجه: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥].

ثم انظر إلى حكمة الله تعالى، فقد كان بالإمكان أن يخلق الله رجالاً ونساء، يبثهم في الكون دون أن يكون لهم صلة بعضهم ببعض، ولكن اقتضت رحمته تعالى أن يخلق آدم ويخلق منه زوجه، ويبث منهما نتيجة لزواجهما واتصالهما، رجالاً كثيراً ونساء، ليكون ذلك دليلاً على الرابطة القوية، وأنكم من

نفس واحدة، وأن الناس جميعاً من أصل واحد وأب واحد وأم واحدة، فيجب أن يكونوا إخوة، وأن يراعوا هذه الصلة والقرابة، فلا يتقاتلون ولا يتباغضون ولا يتقاطعون ولا يتفاخر بعضهم على بعض، فكلهم لآدم، وآدم من تراب. إذا عرفت ذلك فتأمل الإيجاز والإعجاز في هذه الآية التي تبهر النفس، وتسعد الحس، وتبث الروعة، وتنثر العظمة: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء: ١].

الله تعالى في عون المتزوج

إن من الأمور التي ييسرها الله للمسلم ويعينه عليها، ويسهل له سبيلها، ويرزقه بأسبابها؛ الزواج، يقول تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢] ويقول تعالى آمراً ومبشراً لذوي العفة والطهر والفضيلة: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٣].

ويقول ﷺ: «**ثلاث كلهم حق على الله عونهم؛ المجاهد في سبيل الله، والناكح المستعفف، والمكاتب يريد الأداء**» [أخرجه أحمد (٧٤١٠) وحسنه الترمذي (١٦٥٥)]، ويقول ﷺ: «**ومن يستعفف يعفه الله**» [أخرجه أحمد (٣/٩٣) وصححه ابن حبان]، ويقول ﷺ: «**من تزوج فقد استكمل نصف الإيمان، فليتق الله في النصف الباقي**». [أخرجه الطبراني في الأوسط (٧٦٤٧) وحسنه الألباني في الصحيحة: ٦٢٥].

إن ا لعفاف رفعة للمرء في الدنيا والآخرة، ولذلك كان جزاء من خاف ربه واتقاه وحفظ نفسه من الوقوع في الحرام

والاندفاع وراء الشهوة، أن يظله الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، ولقد أثنى الله تعالى على المؤمنين وامتدحهم، وبين أن من أجمل صفاتهم ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [المعارج: ٢٩]، وكان أحد الصالحين قد هام بامرأة وأحبها وأحبته، فلما أراد لقاءها يوماً من الأيام قالت له: إن الله تعالى يقول: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]، وأنا لا أحب أن تنقلب خلتنا إلى عدواة في ذلك اليوم العظيم.

قال سقراط لأحد تلاميذه: (تزوج يا بني فإنك إن رزقت بامرأة صالحة أصبحت أسعد مخلوق على وجه الأرض، وإذا كانت شريرة صرت فيلسوفاً).

المرأة عنوان الجمال والحب

غالباً ما تظلم المرأة حتى في الحديث عنها أو الإشادة بمكانتها، فالنصيب الأوفى دائماً للرجل، وإن أوتيت حظاً من الحديث أو نصيباً من التوجيه فأغلبه عبارة عن تخويف وتهديد وترهيب ومحاذير وتنبيهات ومواعظ، لكن قل أن نجد من أحاديثنا إليها ما يملأ قلب المرأة روعة وجمالاً، وإشرافاً وسمواً، وعزة وافتخاراً، ونشوة وطرباً، وحباً واحتراماً، وثباتاً وإقداماً.

قل أن تجد الحديث الذي يتسلل إلى فؤاد المرأة عن طريق أهم صفة فيها، وهي صفة العاطفة، فيجلي لها أهميتها في الكون، ويشرح روعتها في الحياة، ويبين عن أسرار جمالها، وروائع دلالها، ويعزف على أوتار الحب والغرام والشوق والهيام.

أشـــرق الأنس والرضـــا والنضـــار
وتغنت بلحنهـــــا الأطيـــــار
في مـــغـــاني حـــواء تحلو الأمـــاني
وتطيب الألحـــــان والأشـــعـــــار

يا ضياء النفوس يا خير فجر
يتباهى بوجنتيه النهار
يا ربيع الأرواح يا فيض حب
تتلاشى أمامه الأنهار
أنت للقلب دوحة من نعيم
أنت في الأرض روضة معطار
إن ذكرنا رياك ذبنا اشتياقاً
أو كسبنا رؤياك طاب المزار
طبت أختاً وزوجة طبت أماً
كم تربى في حضنك الأبرار
يا بناء الأجيال لا زلت عطراً
ضمخت من عبيره الأزهار
عجب الدهر للنساء اللواتي
هن في ليل عمره أقمار

المرأة عالم عجيب، وعنوان حبيب، ونبأ غريب..

المرأة كون فسيح، وفضاء مريح، وصوت مليح..

المرأة جميلة، بل هي أجمل ما في الكون بعد الإيمان بالله ورسوله، هي متعة الحياة، وزينة الدنيا، وعطر الوجود، وسلوان الفؤاد، وبهجة الضمير.

المرأة قلب رقيق، وعاطفة جياشة، وفؤاد حنون، في قلب الرجل ألف باب يدخل منها كل شيء ولا تزال مفتحة، فإذا

دخلت المرأة أغلقتها جميعاً، هي المودة والرحمة، والسكن والنعمة، والجمال والبسمة. تظلم الأيام في وجه الرجل فتشرق على ابتسامة المرأة، وتعبس الأحداث في دنيا الإنسان، فتعزف ألحان الرضا على نغمات المرأة، وتقسو الليالي فتذوب قسوتها بزلال من حنان المرأة، ويكفهر الوجود، فتشرق قسمات وجهه على ترانيم المرأة، لو صرخت الدنيا بكل ما فيها قائلة للرجل: أكرهك، فإن المرأة إذا قالت: أحبك، نسفت ذلك كله.

المرأة روعة الحنان في الحياة، وإشراقة الوجدان في الكون، إن كانت مع الرجل في الطائرة حلق بخياله معها أفضل وأعلى من تحليقه في الجو، يقترب من أفقها البعيد، ويستظل بغيمة حبها السعيد، وإن كانت معه في البحر سبح بمشاعره معها، وغاص على اللؤلؤ والمرجان في أعماقها، فكانت سعادته أعظم من سعادة السابحين، وعادت شباك فكره بأجمل مما يعود به الصيادون، وجاءت فوائد غوصه بأفضل مما ناله الغواصون.

وإن كانت معه في السيارة أصبح الطريق الطويل قصيراً، والوعر سهلاً، والمرهق هيناً، وإن كانت في الحديث كان صوتها أندى من صوت الشحرور، وعطرها أزكى من عطر الزهور، وقوامها أجمل من قوام النخلة، ورحيقها أعذب من شهد النحلة، وإن كانت في البيت ملأته سعادة، وغمرته حباً، وأفعمته أنساً، فلو كان ضيقاً أصبح بحبها رحباً فسيحاً، ولو كان متعباً عاد بقربها جميلاً مريحاً، وإن كان مظلماً غدا

بنورها مشرقاً بهيجاً، نظراتها ساحرة، وبسماتها آسرة، ونغماتها عاطرة.

المرأة كالماء الزلال، والغيث الهنيء، إذا انسكب في النفس اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، تحلو بها الأيام، وتذهب معها الآلام، وتزكو بها الأنسام، منشأة في الحلية، وغير مبينة في الخصام، يكون الرجل قوياً شجاعاً هماماً مهيباً، فإذا وقف أمام المرأة أصبح كالحمل الوديع بين يديها، وكعود البان الرطب ينثني بكفيها.

لو أعطي الرجل الدنيا بحذافيرها، والحياة بمتعها، على أن يحرم من المرأة لألقى بها جميعاً واختار المرأة. إذا سكنت المرأة قلب الرجل جملت الحياة في عينيه، وحببت الدنيا لناظريه، وأصبح يرى كل شيء جميلاً، وإذا غادرت عن فؤاده، ورحلت عن وداده، فمهما ابتسمت له الأيام، وتزينت له الأعوام، فإنه يراها سوداء قاتمة، نكراء مظلمة.

فهل تحلو الحياة بلا أريج
يفوح عبيره في كل ذات
وهل نغم الوجود يطيب إلا
بصوت من هتاف الغانيات
وهل تمسي المشاعر وهي ظمأى
وفي خلجاتها نهر الفرات

وهل ترنو إلى الأطياب روح
تبيت بدوحة المسك الفتات
وكم أهدى لنا الشعراء وصفاً
لجيد الظبي أو عين المهاة
ملاحم للبيان تظل تروي
أحاديث الغرام الساحرات
بنيت لهن في قلبي قصوراً
بآيات المحبة مفعمات

المرأة جعلها الله من أعظم نعيم أهل الجنة، قال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٦-٥٨].

وقال تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة: ٢٢ - ٢٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٦ - ٣٧].

وقال الجميل المجمل ﷺ: «**حبب إلي من دنياكم: الطيب والنساء**». [أخرجه البيهقي (٧٨/٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع].

والمرأة سكنت وجدان النبي ﷺ واستقبل الوحي في رحاب امرأة، وثبتته امرأة، حتى استحقت أن يُحييها الله تعالى من

فوق سبع سماوات، فقد جاء جبريل عليه السلام إلى محمد ﷺ قائلاً له: «**أقرئ خديجة السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا نصب فيه ولا صخب**». [أخرجه البخاري (٣٦٠٩) ومسلم (٢٤٣٢)].

وغادر ﷺ الحياة الدنيا ورأسه على صدر امرأة، تقول عائشة - رضي الله عنها - : «**توفي رسول الله ﷺ ورأسه بين سحري ونحري**» [أخرجه البخاري: ١٣٢٣].

ملأ ﷺ بالمرأة قلبه، وملأ بالسعادة قلبها، تشرب فيدير الكأس ويشرب من موضع فمها، وتسافر معه فيسابقها ويمازحها ويضاحكها، ويجلس على مائدتها فيأنس لحديثها ويضحك لمزاحها، ويهتف بحقوقها وعدم ظلمها.

وينادي ﷺ في الناس: «**اتقوا الله في النساء فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً**». [أخرجه أحمد (٧٢/٥) وحسنه الألباني في الإرواء (٢٠٣٠)].

ويقول ﷺ: «**الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة**» [أخرجه مسلم: ١٤٦٧]، ما أجمل المرأة يوم أن تكون صالحة شريفة، محبة عفيفة، نقية نظيفة، تعبق بالحب، وتفيض باللطف وتكتسي الحياء، وترتدي الوقار. ما أجملها حينما تكون درة مصونة، ولؤلؤة مكنونة، وحليلة مأمونة.

وهل جنة الدنيا وروعة الحياة بعد الإيمان إلا في ظلال الحب، وفي بساتين الغرام، وهل أحسن سعادة، وأجمل أنساً

من الإحساس بقلب يحبك، وفؤاد يعشقك، ووجدان يحنو عليك، وغرام يظلّك في هجير الحياة اللافح، وأين يجد المرء ذلك؟ أليس في المرأة!!.

وتطرب مهجتي ويذوب قلبي
لعين الظبي أو جيد الغزال
وروعة منطق ورهيف قد
ووجه بات يهزأ بالهلال
أتيه بكل غانية مصون
محياها من الغدرات خالي
فؤاد متـرع بالحب يهوى
أفانين الملاحة والجمال
ولولا خشية لجلال ربي
لعشت رهين ربات الدلال
ولكني أتوق لحور عينٍ
لهن بجنة المأوى وصالي

لقد ضربت المرأة المسلمة في عهد النبي ﷺ أروع الأمثلة للمرأة المؤمنة، وتألقت في شتى مجالات الحياة، وكان لها أطيب الأثر، وأجمل الفضل في رفعة المؤمنين، وعزة المسلمين، بصلاحها في نفسها، وتضحيتها لدينها، وتربيتها لأبنائها، وصدقها مع زوجها، وكانت تجد من المصطفى ﷺ وصحابته وافر التقدير، وبديع الاحترام، فكانت الوالدة المربية، والمعلمة

الفاضلة، والمجاهدة المناضلة، والفقيهة العابدة، والحكيمة البليغة.

وفي كتب السير من أخبارهن ما يسلب اللب، ويبهج القلب، ويمتع الوجدان، ويبيض الوجه.

إن المرأة بلطفها وعطفها ورفقها وصدقها إذا توجت ذلك بإيمان بربها، وطاعة لمولاها، واتباع لنبيها، تأتي بالعجب العجاب، وترتقي إلى أعلى الأسباب حيث تصبح البركة بركتين، والروعة روعتين، ولذلك يصطفيها الله مرتين: ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢].

وانظر إلى بركات المرأة على الدنيا بأسرها.. هذه هاجر - عليها السلام - لا زلنا إلى اليوم نتضلع من ماء حفرته بيدها، وجاء استجابة لدعائها، وإكراماً لابنها، فإذا به طعام طعم، وشفاء سقم إلى قيام الساعة.. وها نحن إكراماً لها في كل حج وعمرة نحذو حذوها، ونسير على أثرها، نطوف كما طافت، ونسعى كما سعت.

وها هي آسية زوج فرعون - رضي الله عنها - كانت سببا في حفظ موسى عليه السلام وملاذاً لحمايته، ومأمناً لرعايته، فاهتدت به أمم، واستنارت به دول.

وها هي مريم - عليها السلام - البرة القانتة جعلها الله تعالى معجزة لدين، ودليل العظمة، وأعجوبة الدهر، فأنجبت

عيسى بن مريم عليه السلام بكلمة من روح الله تعالى، فكان نبياً من الصالحين، ورحمة لقومه أجمعين.

هذه خديجة - رضي الله عنها - وقد سبق الحديث عنها.

هذه عائشة - رضي الله عنها - وفضلها على الإسلام.. والتي أخبر ﷺ أن فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.. وهي العالمة الجليلة، والفقيهة العظيمة.

هذه أسماء بنت أبي بكر..

هذه سمية أول شهيدة في الإسلام..

هذه أم عطية التي تقول: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات أخلفهم في رحالهم، فأصنع لهم الطعام، وأداوي الجرحى، وأقوم على المرضى..

هذه أم سليم التي كان يغزو بها ﷺ معه، فتسقي الماء، وتداوي الجرحى مع نسوة من الأنصار.

وختاماً هذه وقفة مع امرأة من أعظم النساء، وأفضل المؤمنات، حديثها عجيب، وخبرها غريب، وجهادها عظيم. إنها نسيبة بنت كعب المازنية، أم عُمارة - رضي الله عنها - فقد كانت في غزوة أحد تسقي الظماء، وتداوي الجرحى كما يصنع غيرها من النساء، إذا كانت كفة المسلمين هي الراجحة. ولما وقعت مخالفة الرماة عن أمر الرسول الكريم التي بدلت نصرهم هزيمة، فأضحوا كما قال الله تعالى فيهم: ﴿إِذْ

﴿تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ...﴾ [آل عمران: ١٥٣]، تقدمت نسيبة، فاستلت سيفها، واحتملت قوسها وانضمت إلى القلة الصامدة مع رسول الله ﷺ التي كانت بمثابة جدار بشري يحمي الرسول ﷺ من سهام المشركين. وكلما دنا الخطر من رسول الله ﷺ سارعت إلى الذود عنه، حتى إنها لفتت نظر رسول الله ﷺ، فقال: «**ما التفتُّ يميناً ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني**» [أخرجه ابن سعد في الطبقات: ٨/٤١٥].

في هذا اليوم العصيب أُثخن جسد نسيبة بالجراح، وهي تجالد القوم وتضرب نحورهم، ويراها رسول الله ﷺ، فينادي ابنها: أُمك أُمك، اعصب جرحها، بارك الله عليكم من أهل بيت. مقام أمك خير من مقام فلان وفلان، فلما سمعت أمه قول الرسول ﷺ قالت: أُدع الله أن نرافقك في الجنة، فقال: «**اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة**»، فقالت: ما أُبالي ما أصابني في الدنيا [أخرجه ابن سعد في الطبقات: ٨/٤١٥].

ولم يقتصر جهاد أم عمارة الصادق وبلاؤها الحسن على غزوة أحد، بل شهدت عدة مشاهد مع رسول الله ﷺ، فكانت معه في بيعة العقبة والحديبية وخيبر وحنين، وكانت بطولاتها في حنين لا تقل روعة عن بطولاتها في أحد، ثم شهدت معركة اليمامة في عهد الصديق رضي الله عنه، وجاهدت أروع جهاد، وجُرحت أحد عشر جرحاً، وقطعت يدها.

لا جرم أن يبشرها رسول الله ﷺ بالجنة، وأن تكون من بعده موضع تقدير الخليفة الصديق وقائده خالد بن الوليد - رضي الله عنهما - وموضع تكريم الخليفة الراشد من بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فيا الله على المرأة حينما تجمع إلى جمال الوجه جمال الروح، ولحسن القوام حسن القيام، ولخمرة الوصل روعة الأصل، ولطيبة القلب طيبة الدرب، ولحجاب الجسد حجاب الفكر، ولرقة الطبع صفاء النبع، ولأريج الحب طاعة الرب، وللغنج والدلال الحياء من ذي الجلال، وللصوت الشجي والتزين بالحلي طاعة النبي الأمي.

هذه هي المرأة التي نتغنى بها، ونترنم بحبها، ونشيد بأمرها، ونطرب لوصلها، ونقدم لها باقات الإجلال، وآيات الإكبار، وألفاظ الإعجاب.

وهذه بعض أقوال العلماء والأدباء والشعراء والحكماء والفلاسفة عن المرأة، ومن أراد التوسع في ذلك فعليه بقراءة كتب أخبار النساء وطرائف النساء.

من هي المرأة؟

هي الوحي في فكر العقول تهفو..
هي الزهر في روض الغرام تنمو..
هي الطير في جو الهيام تعلو..
هي النجم في لثام الحب تبدو..
هي القمر في ظلام الليل تزهو..
هي الشمس في فضاء الكون تسمو..
هي السعادة في سماء الحب ترنو..
هي الروح في أجواء العواطف تجثو..
هي الآمال في أعماق الصدور تطفو..
هي الجمال في معاني الحنان تشدو..
هي الفتنة في ألوان الجاذبية تغدو..
هي الحب في قضايا العشاق تشكو..
هي قبلات في ليالي الربيع تحلو..

حوار مع حواء:

قالت: كيف تراني ؟.

قلت: زهرة يانعة رسمتها الطبيعة.. وخطتها بأناملها السحرية.

قالت: وروحي؟.

قلت: من الشمس حرارتها.. ومن السماء صفاؤها..

قالت: ونفسي؟.

قلت: من النهار ضياؤها.. ومن الليالي غموضها.

قالت: وعيناي؟.

قلت: من أعماق البحر أسرارهما.. ومن الربيع لونهما الأخضر الفتان.

قالت: وشفتاي؟.

قلت: من العسل طعمهما.. ومن الخمر نشوتهما.

قالت: ونهداي؟.

قلت: من المرمر بياضهما.. ومن الجبال كبرياؤهما.

قالت: وهل تحبني؟.

قلت: أتسألين بعد كل هذا ؟.

ما أجملك يا حبيبتي:

ما أجملك يا حبيبتي.. ما أجملك..

عيناك حمامتان هادئتان تحت نقابك..

وشفتاك خيط قرمزي..

وفمك كوب سحري..

وخدك تحت نقابك شطر رمانة..

وعنقك برج داوود المشيد للسلاح..

إن حبك أشهى من الخمر.. وشذاك أطيب من كل عطر..

شفتاك تقطران العسل يا عروسي.. وتحت لسانك عسل ولبن..

أنت جنة معلقة يا عروسي.. أنت ينبوع مختوم..

أنت نافورة انبثق ماؤها على صورة فردوس..

غرس فيه رمان وتدلت منه العناقيد..

ورقصت الزهور والرياحين..

هبي يا ريح الشمال.. هبي يا ريح الجنوب..

أرسلي فوق جنتي أنفاسك ليفوح منها العبير..

[توفيق الحكيم]

آراء أصحاب الحرف في المرأة:

الرسام: إن لها مُحيا.. كمحيا الملائكة..

الكهربائي: إن نورها يسطع كنور الشمس..

البقال: إنها حلوة كالسكر..

الفاكهاني: إن خدها كالتفاح..

بائع العطور: إن أنفاسها كأريج البنفسج.

الصائغ: إنها دُرة لا مثيل لها..

الموسيقي: إن صوتها أطرب من وقع الأوتار..

الثري: إن جمالها كنز لا يفنى..

التاجر: إنها أحسن بضاعة أرسلتها السماء.

طبيب الأسنان: إنها تبتسم عن لؤلؤ..

الحلاق: إن لها شَعراً عظيماً..

العالم: إنها سفر الحكمة..

قال أحد الأدباء:

(أيتها المرأة.. إذا لم تستطيعي أن تكوني نجماً في السماء، فكوني شمعة في بيتك..).

* أيتها المرأة.. إني لا أحس بجمال وروعة الطبيعة إلا عندما تلمسين أزهارها بأناملك الجميلة. [بيتهوفن].
* أيتها المرأة.. اذكري أن جمالك حُرٌ طليق.. إلا من قيدين كلاهما أجمل منه: العفاف والشرف... [أحمد شوقي].
* أيتها المرأة.. أنت حلم ليلي.. وعذاب نهاري.. [الفرد دي موسيه].
* أيتها المرأة.. إذا صغر العالم.. فأنت تبقين كبيرة.. [فيكتور هوجو].

* المرأة مثل العشب الناعم، ينحني أمام النسيم، ولكنه لا ينكسر للعاصفة.. [هوكيلي].

* إذا كانت المرأة الجميلة جوهرة، فالمرأة الفاضلة كنز.. [سعدي الشيرازي].

* لا تطلب الفتاة من الدنيا إلا زوجاً، فإذا جاء طلبت منه كل شيء.. [شكسبير].

* أمنع الحصون المرأة الصالحة.. [نابليون].

* لا شيء يرفع قدر المرأة كالعفة.. [أديسون].

* المرأة ظل الرجل، عليها أن تتبعه لا أن تقوده.. [برنارد شو].

* لا توجد جوهرة في العالم أكثر قيمة من امرأة تنزه نفسها عما يعاب.. [سرفانتس].

* مهما تكلم الرجل لا يستطيع أن يشرح الحب، ولكن المرأة إذا تفوهت بكلمة تذيب من الحب ما لا يسعه قلب الرجل.. [هولمز].

* المرأة المبتسمة كالغرفة الدافئة التي تستميل الإنسان حين يدخلها، فيشعر برفاهيتها حتى ينسى كونه غريباً.. [حكيم].

* سعادة الرجل في كلمة تخرج من بين شفتي المرأة.. [حكيم].

* ليس التوفيق في الزواج أن يجد المرء زوجة صالحة، بل أن يكون زوجاً صالحاً [جان جاك روسو].

* الزوجة الصالحة والصحة هما خير ثروة الرجل.. [مثل إنكليزي].

* ابتسامة المرأة الجملية تدفع الرجل لأن يعبر الجبال والمحيطات.. كذلك نظرة منها شزراء.. تجعله جامداً لا يتحرك.. [مارسيل داي].

* ابتسامة المرأة الجميلة.. شعاع من أشعة الشمس.. [فولتير].

* ابتسامة واحدة على شفتي حبيبتي تفتح لي أبواب الجنة.. [جوته].

* أجمل لحظة في حياة الرجل العاشق.. هي اللحظة التي تغطيه خلالها المرأة بخصلات شعرها.. حتى يحس لفحات أنفاسها.. [حكيم].

* أجمل امرأة.. هي التي ترتعد كلمات الحب على شفتيها.. [شوبان].

ويقول أبو القاسم الشابي:

عذبة أنت، كالطفولة، كالأحلام، كاللحن، كالصباح الجديد..

كالسماء الضحوك، كالليلة القمراء، كالوردة كابتسام الوليد..

يا لها من طهارة، تبعث التقديس في مهجة الشقي العنيد..

أنتِ، أنت الحياة في قدسها السامي، وفي سحرها الشجي الفريد..

أنتِ، أنت الحياة فيك، وفي عينيك آيات سحرها الممدود..

أنتِ، دنيا من الأناشيد والأحلام، والسحر والخيال المريد..

أنتِ، فوق الخيال والشعر والفن، وفوق النهى، وفوق الحدود..

يا بنة النور، إنني أنا وحدي من رأى فيك آية المعبود..

فدعيني أعيش في ظلك العذب، وفي قرب حسنك المعمود..

ويقول إيليا أبو ماضي:

اسألوها، أو فاسألوا مضناها
أيّ شيء قالت له عيناها
فهو من نشوة وما ذاق خمراً
نشوة الحب هذه إياها
ذاهل الطرف شارد الفكر، لا يلمح
حسناً في الأرض إلا رآها

السـواقي لكي تحـدّث عنهـا
والأقـاحي لكي تذيع شـذاها
وحـفـيف النسـيم في مـسـمع الأو
راق نجـوى تبـثـهـا شـفـتـاها
يحـسب الفـجـر قـبـسـة من سناها
ونجـوم السـمـاء بعض حُـلاها
كل نفس لم يشـرق الحب فـيـهـا
هي نفس لم تدر مـا مـعـناها

* لولا ابتسامة ا لمرأة.. لفقدت الدنيا بهجتها..
* لولا المرأة.. ما تعب قلب.. وما شقي قلم..
* للرجل في الحب سطر.. وللمرأة صفحات..
* ليست لغة قلب المرأة بحاجة إلى الألفاظ لكي نفهمها.. فإنما هي مكتوبة على صفحات العيون..
* ما أجمل عيني المرأة.. عندما تبكي كلماتها.. وعندما تتكلم عبراتها..
* المرأة هي الأفق الذي تشرق منه شمس السعادة على هذا الكون فتنير ظلمته.. والبريد الذي يحمل على يده نعمة الخالق إلى المخلوق.. والهواء المتردد.. الذي يهب الإنسان حياته وقوته.. والمعراج الذي تصعد عليه النفوس من الملأ الأدنى إلى الملأ الأعلى.. [طرائف النساء، ص: ١٠٤].

* المرأة كالمدن.. إذا عرفت كيف تطرق بابها.. استوليت على قلبها وروحها وجسدها.. [ماري لويز].
* المرأة.. كوكب يستنير به الرجل.. ومن غيرها يبيت الرجل في الظلام. [شكسبير].
* المرأة والبندقية.. متشابهتان. لا يمكن للمرء العبث بهما..
* المرأة جنس لطيف.. وديعة النفس.. لينة الجانب.. لطيفة المزاج.. سريعة التأثر. رقيقة العواطف.. يسرها أن تنجذب إليها الأبصار.. وأن يعجب الرجل بجمالها.. ويسرها أن تسمع بأذنيها من يمدح هذا الجمال.. ويصف محاسنها.. كما يسرها ويؤثر في نفسها أن ترى بعينيها قوة تأثير هذا الحسن في نفس الرجل..
* المرأة التي تغار على زوجها من كل امرأة.. توحي إليه بأنها أقل من أي امرأة..
* المرأة هي السر الغامض الذي لم يتوصل العلم إلى اكتشافه.. ولم تصل عقول الفلاسفة إلى اختباره.. ولا دقة البحث إلى معرفة كنهه..
* المرأة مثل اللوحة الفنية النفيسة.. لا يمكن أن يفهمها الجاهل.. أو يقدرها.. أو يعرف قيمتها.. وما أكثر الجهلاء بين الرجال..
* المرأة لغز.. مفتاحه كلمة واحدة.. هي الحب..

[راجع كتاب طرائف النساء]

صفات المرأة المسلمة

يا عـــذارى الإيمان والطهـــر يا
زينة الدنيـــا ويا بهـــاء الوجـــود
يا ثمـــار القلوب يا خـــيـــر زهر
يتـــجلى مع الربيع الجـــديد
صـــانكن الإله من ظلمـــة الفكـ
ـر ومن ضلة اللئـــيم الحـــقـــود
يا فـــتـــاة الإيمان يا خـــيـــر كنز
في حـــيـــاة أنت كـــدر نضـــيـــد
أنت أنت العـــفـــاف في ثوبه السـامـ
ـي وفي نهـــجـــه النقي الفـــريد
أنت مـن نـرتجي لجـــــيل أبـي
يتـــــربى في ظلك الممـــــدود
لا تـغـــــرنك دعـــــوة من ذئاب
همـهـا الفـتك بالفـتـاة الخـرود
إنما العـــز في حـــجـــاب عـــفـــيف
والتـــزام بنهـــجك المحـــمـــود

هذه همـــسـة من القلب تســري
في هواكم أودعـتـهـا في قـصـيـدي
هـذه بـاقـــة مـن الـزهـر نـشـــوى
في مـقـام حلو الـسـجـايا سـعـيـد

المتأمل لما ورد في النصوص القرآنية العظيمة، والأحاديث النبوية الشريفة، يجد أنها تزخر بأجمل الصفات، وأبدع السمات، وأروع الأخلاق للمرأة المسلمة، وأنها قد رسمت الصورة المثلى لها، والطريق الأزكى، والسبيل الأنقى والأتقى والأرقى، وهذه بعض سمات المرأة المسلمة وصفاتها، ذكرها مفصلة الدكتور محمد الهاشمي في كتابه القيم (شخصية المرأة المسلمة) أثابه الله عليه، وهي مستوحاة من نور الإسلام وهدايته، ولكل منها دليله ومثاله من شريعة العز والسمو والرفعة، ولا شك أن أغلب هذه الصفات يشاركها فيها الرجل، فهما مشتركان في أغلب تكاليف الإيمان.

(المرأة المسلمة ليست مجرد قعيدة بيت، وحاضنة أطفال، ومدبرة منزل فحسب، وإنما هي بالإضافة إلى هذا كله؛ مربية أجيال، وصانعة أبطال، ورائدة دعوة، وعنصر وعي ونهضة وبناء في شتى شؤون الحياة، تقف إلى جانب الرجل في إعمار الكون، وإثراء الحياة، وإسعاد الوجود، وترطيب جفاف العيش.

المرأة المسلمة التي استنارت بهدي دينها؛ امرأة راقية مهذبة واعية نابهة منتجة بناءة طاهرة سامية، تعرف عن وعي

وبصيرة وإدراك واجباتها نحو ربها، ونحو نفسها، ونحو والديها، ونحو زوجها وأولادها، ونحو أقربائها وذوي رحمها، ونحو جيرانها، ونحو أخواتها وصديقاتها، ونحو مجتمعها كله، بكل ما يضطرب فيه من أناس وأحداث ومعاملات.

فهي مؤمنة بالله واليوم الآخر، متيقظة متنبهة لفتن الدنيا وأحابيل الشيطان، عابدة ربها، مطيعة أمره، مجتنبة نهيه، راضية بقضائه وقدره، أوّابة إلى حمى ربها، مستغفرة إياه، إن زلت بها القدم، أو غشيتها غاشية من غفلة أو تراخ أو تقصير. تشعر بمسؤوليتها أمام ربها عن أفراد أسرتها، حريصة على مرضاة الله عز وجل في أي عمل تقوم به، متمثلة معنى العبودية لله والنصرة لدينه الحق، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر في حدود استطاعتها وإمكاناتها.

وهي واعية واجبها نحو نفسها، مدركة أنها إنسان مكوّن من جسم وعقل وروح، وأن للجسم مكوناته ومتطلباته، وأن للعقل وللروح كذلك مكوناتهما ومتطلباتهما، ولذا فهي تحرص على التوازن المحكم بين جسمها وعقلها وروحها، فلا تنصرف على العناية بجانب من هذه الجوانب على حساب الجانب الآخر، بل تُعنى بكل جانب من هذه الجوانب العناية المطلوبة لتحقيق الشخصية الإنسانية المتوازنة، مستهدية في ذلك كله بهدي دينها الحكيم، من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وسيرة السلف الصالح السائر على خطا الرسول الكريم ﷺ بإحسان.

إنها لتُعنى بمظهرها من غير إسراف ولا مبالغة ولا مخيلة ولا شطط، وتُعنى بمخبرها العناية اللائقة بالإنسان الذي كرّمه الله، وأسجد له ملائكته، وسّخر له ما في السموات والأرض، بحيث تبدو شخصيتها متزنة معتدلة محببة مستحسنة، في شكلها وهيئتها، وفي عقلها وتفكيرها وسلوكها وتصرفاتها وردود أفعالها.

ولا تصرفها عنايتها بجسمها وعقلها عن التفكير في شؤونها الروحية، بل تقبل على التربية الروحية إقبالها على التربية الجسمية والعقلية، فتصقل روحها بالعبادة والذكر وتلاوة القرآن، وملاك أمرها في ذلك كله التوازن المحكم الدقيق في جوانب شخصيتها جميعاً.

وهي برّة بوالديها، عارفة قدرهما، وما يجب عليها نحوهما، شديدة الحساسية والخوف من عقوقهما، لا تدخر وسعاً في اختيار أمثل الطرق وأرقى الأساليب في الإحسان إليهما، وإحاطتهما بكل ضروب الرعاية والتكريم والإجلال.

وهي مع زوجها مثال الزوجة العاقلة الحصيفة البارة المطيعة المتسامحة الودود، الحريصة على رضاه، وعلى احترام أهله وإكرامهم، تكتم سره، وتعينه على البر والتقوى والعمل الصالح، وتملأ نفسه، وتشعره بالسعادة والسكن والطمأنينة.

وهي مع أولادها الأم الحانية الرؤوم، الواعية الحكيمة المدركة ضخامة رسالتها التربوية، المقدرة مسؤولية الأمومة،

وهي إذ تشعرهم بحبها وحنانها ورحمتها، لا تضن عليهم بالتوجيه السديد، ولا تُغفل تقويمهم إن احتاجوا إلى شيء من التقويم، لينشؤوا النشأة الإسلامية المثلى التي تزرع في نفوسهم مكارم الأخلاق، وتغرس فيها حب المعالي من الأمور.

وهي مع كنائنها وأصهارها برة عادلة حكيمة ناصحة، لا تتدخل في الخصوصيات، تحسن التصرف، وتعمل على توثيق عرا الود، ونزع غائلة الشر والخصومات.

وهي مع أقربائها وذوي رحمها واصلةٌ حبل الود، لا تغفل عن صلتهم والإحسان إليهم، وتحرص على دوام تلك الصلة وإن لم يصلوها، عملاً بهدي الإسلام الحنيف في توطيد أواصر القربى، وتفجير ينابيع المحبة والوداد.

وهي محسنة إلى جيرانها، مهتمة بأمرهم، تعرف حقهم الكبير الذي أصّله جبريل الروح الأمين لرسول الله ﷺ، حتى ظن الرسول الكريم أنه سيورثهم. ولذا فهي تحب لهم ما تحب لنفسها، وتحسن معاملتهم، وتراعي مشاعرهم، وتتحمل أذاهم، وتتغاضى عن هفواتهم وأخطائهم، وتتحرز من الإساءة إليهم، أو التقصير في حسن معاملتهم والإحسان إليهم.

وهي مع أخواتها وصديقاتها متميزة عن غيرها من النساء في بناء صلاتها وعلاقاتها بهن على أساس من الحب في الله، وهو الحب الأسمى والأطهر والأنقى في حياة البشر؛ لأنه

الحب المجرد عن كل منفعة، البريء من أي غرض، النقي من كل شائبة، المستمد صفاءه ونقاءه وشفافيته من مشكاة الوحي وهدي النبوة. ومن هنا كانت المرأة المسلمة في محبتها ومؤاخاتها لأخواتها صادقة مخلصة ناصحة متسامحة، حريصة على بقاء حبل الأخوة والود موصولاً بينها وبينهن، لا تقاطعهن، ولا تهجرهن، ولا تغتابهن، ولا تجرح مشاعرهن بلدد من الخصام والجدل والمشاحنة، ولا تحقد عليهن، ولا تمسك يدها عن معروف يمكن أن تسديه إليهن، وتلقاهن دوماً بوجه متهلل متألق طليق.

وهي في صِلاتها وعلاقاتها الاجتماعية امرأةٌ اجتماعية راقية من الطراز الأول بما لقنت من تعاليم دينها، وما استوعبت من أحكامه الغزيرة السمحة في فقه التعامل وسمو الصِلات ورفعة الأخلاق. فمن هذا النبع الثر الكبير تمتاح المرأة المسلمة أعرافها وعاداتها وسلوكياتها ومعاملاتها، ومن هذا المعين الصافي والمورد العذب تنهل القيم والأخلاق التي تزكي نفسها وتكوّن شخصيتها الاجتماعية المتميزة.

إنها حسنة الخلق، صادقة مستقيمة مع الناس جميعاً، لا تغش ولا تخدع ولا تغدر ولا تنافق ولا تشهد الزور، وهي ناصحة تدل على الخير، وتفي بالوعد، وهي متصفة بالحياء وعفة النفس، لا تتدخل فيما لا يعنيها، وتبتعد عن الخوض في الأعراض وتتبع العورات، بعيدة عن الرياء، عادلة في حكمها، لا

تظلم، تنصف من لا تحب، لا تشمت بأحد، تجتنب ظن السوء، تمسك لسانها عن الغيبة والنميمة، تجتنب السباب والكلام البذيء، لا تسخر من أحد. رفيقة بالناس، رحيمة، تعمل على نفع الناس ودفع الضر عنهم و تُنفس عن المعسرة، كريمة سخيّة لا تمن على من تعطيهم، حليمة، متسامحة، لا تحقد، ولا تضطغن، ميسرة غير معسرة، لا تحسد، بعيدة عن المباهاة وحب الظهور، تجتنب التنطع والتكلف، شخصيتها محببة للناس، آلفة مألوفة، تحفظ السر، طلقة الوجه، خفيفة الظل، تدخل السرور على القلوب، غير متزمتة، لا تتكبر، متواضعة، معتدلة في لباسها ومظهرها، تهتم بمعالي الأمور، تهتم بأمر المسلمين، تكرم الضيف، تؤثر على نفسها و تخضع عاداتها لمقاييس الإسلام، تلتزم بتحية الإسلام. لا تدخل غير بيتها إلا باستئذان، تجلس حيث ينتهي بها المجلس، لا تناجي امرأة ثانية إذا كن ثلاثاً، تجل الكبيرة وصاحبة الفضل، لا تحد نظرها في بيت غيرها، تختار العمل المناسب لأنوثتها، لا تتشبه بالرجال، تعدو إلى الحق، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، لبقة حكيمة في دعوتها، تعاشر النساء الصالحات، تسعى بالصلح بين المسلمات، تخالط النساء وتصبر على أذاهن، تقدر المعروف وتشكر عليه، تعود المرضى ولا تتبع الجنازة.

هذه هي شخصية المرأة المسلمة التي صاغها الإسلام بهديه الحكيم، وأضاء قلبها وبصيرتها بنوره اللألاء.

ولعمري إنها النموذج الأرقى لأي امرأة عرفتها المجتمعات البشرية؛ إذ جمعت إلى مكارم الأخلاق السالف ذكرها، رجاحة العقل، ونقاء النفس، وسمو الروح، وسلامة التصوّر للكون والحياة والإنسان، وعمق الوعي لرسالتها الخطيرة في الحياة.

ولا ريب أن الوصول بالمرأة إلى هذا المستوى الراقي من التكوين الخلقي والروحي والنفسي والفكري، نعمة إنسانية كبرى، لا تعدلها نعمة من النعم الكثيرة التي يتقلب في أعطافها البشر، وإنجاز حضاري أكبر من كل إنجاز توصلت إليه الإنسانية في عمرها الطويل؛ ذلك أن بلوغ المرأة ذلك المستوى العالي من التكوين، يعني نمو إنسانيتها، ونضج شخصيتها، وأهليتها الكاملة لأداء رسالتها الكبرى في الحياة.

إن ما نشهده اليوم من تخلف المرأة المسلمة عن المستوى العالي الذي أراده لها الإسلام في كثير من بقاع العالم الإسلامي، مردّه إلى بعد المسلمين عامة عن مناهل دينهم الصافية، وتيههم في مضارب الجاهلية أو التبعية الفكرية والنفسية لغيرهم. وما كان شيء من هذا ليكون في حياة المسلمين بعامة، والمرأة المسلمة بخاصة، لو سلمت للمسلمين مناهلهم الفكرية والروحية، وأقبل الرجال والنساء على العب منها، والتزوّد بزادها النقي الصافي الذي يكسبهم المناعة والأصالة والتميز.

وإذا كانت الغارة على العالم الإسلامي قد استهدفت شخصية المسلم بعامة، سواء أكان رجلاً أم امرأة، لهزها

وزحزحتها عن أصالتها وتلويث مناهلها الفكرية، فإن مما لا شك فيه أنها استهدفت شخصية المرأة بخاصة في كثير من حملاتها، بغية تعريتها من ثوب الفضيلة الذي عرفت به عبر تاريخها الطويل، وإلباسها الثوب المستعار الضيق المزيف الذي يجعل منها صورة من المرأة الأجنبية، في شكلها وتفكيرها وسلوكها.

ولقد بُذلت في سبيل ذلك جهود جبارة، تبنّت الدعوة إلى تغريب المرأة المسلمة فيها جمعيات وهيئات وحركات، باءت كلها بحمد الله بالإخفاق أمام صحوة المرأة المسلمة المثقفة الواعية لهدي دينها، وبدأ التراجع في كثير من تصريحات أنصار التغريب من رجال ونساء، والاعتراف بعمق عقيدة المرأة المسلمة، وأصالة الإسلام في تفكيرها ونفسيتها ومشاعرها.

والآمال الكبار المعلقة على المرأة المسلمة الواعية في أداء رسالتها السامية، تتطلب منها مزيداً من إثبات شخصيتها، في أي مكان كانت، وفي أي ظرف عاشت؛ ففي إثبات شخصيتها المسلمة برهان ساطع على وعيها وسموها وصدق انتمائها إلى الإسلام الخالد وحضارته الإنسانية المتميزة، وفي ذلك أيضاً دليل واضح على جدارتها بالنهوض بأمتها التي تنتسب إليها، وترقية الوطن الذي تعيش فيه.